



العلاقة بين الحاكم والشعب ليست علاقة نفعية، فحسب، والنظرة إليه تقديرًا، أو رفضًا، ليست مبنية، فقط على أداء مؤسساته، وحسن رعايتها، هذا طبعًا في البلد التي تبني دولها على المؤسسات..

العلاقة تقوم على ذلك، وعلى احترام الحاكم **لقيم هذا الشعب**، ووفائه للعقد الذي قامت العلاقة بينهما عليه، وفي صميم ذلك قدرته على حماية شعبه، وتوفير الأمن بكل تجلياته لهم؛ فأين تذهب هذه العلاقة حين يتحول الحاكم قاتلاً للشعب، لرجاله ونسائه، وأطفاله وشبابه؟!

العلاقة بين الدولة وشعبها علاقة **عضوية**. صحيح أنها ليست كذلك في معظم البلدان العربية، لكن التراكمات الكمية، تؤدي - كما يُقال - إلى تغيرات نوعية؛ فبعد أن قتل بشار الأسد ما يزيد عن سبعة آلاف من أبناء شعبه، واعتقل عشرات الآلاف ورملآف النساء، ودمّر أسرًا بأكملها، وعادى قطاعات، بل اقتحم مدناً وحاصرها، فعل العدو شبراً بشبر، وذراعاً بذراع... ألم يَغْدُ محتلاً مجرماً وغريباً؟!

نطرح هذه الأسئلة، ونحن ندخل مرحلة جديدة يُعاد فيها ترتيب العلاقة بين الشعوب العربية والدول التي تحكمها، أو السلطات التي تضبطها؛ لأن مفهوم الدولة أوسع من مجرد جهات تنفيذية تحكم إلى حزب، أو أسرة، إنها مجموعة من المؤسسات التي انبثقت من إرادة الشعب، ووُجِدت من أجله، تتبدل الحكومات، وتبقى الدولة.

لكن **الحاصل في بلاد عربية كثيرة**، ومنها سورية التي تشهد استقطاباً يهدّد بانقسامات عميقة في نسيج المجتمع، هو وثوب فتنة إلى الحكم، في ظروف غير طبيعية، على غفلة من الناس، ثم استثارها بالحكم، وثروات البلد ومقدراته، دونهم، وفوق هذا، الكتم على أنفاس الناس، وتخوين كل من لا ينخرط في خطابهم الانتقائي الشعاراتي.

هذا الوثوب غير الشرعي إلى الحكم قائم على حساب **شخصية الدولة**، وتمثيلها للشعب كله، ولذلك صُمممت أجهزة الأمن والفرق الخاصة؛ من أجل حماية هذه الطّغمة الفاسدة للحكم والإرادة.

ليتجلى دورها في هذا الوقت الذي خرجت فيه جموع الغاضبين، ومن فاض بهم كيل التهميش.. ليتجلى دورها في الدفاع المجنون عن هذه السلطات، ولو أدى ذلك إلى تخريب صورة الجيش في نظر أبناء وطنه، والسيطرة على مهمته العليا في

حماية البلاد من أيّ عدوan خارجي.

ولو أدى هذا الانفلاتُ الأهوجُ من تلك الفرقـة الخاصة (الرابعة) العمـاء الـلـوـاء إلى قصـف الأحياء السـكـنية وتروـيع الأهـالـي، في كلـ المـنـاطـق المـنـتـفـضـة، حتـى لو خـلـت تلك المـنـاطـق من أـيـة شـبـهـة بـوـجـود جـمـاعـات مـسـلـحةـ، كما حدـثـ مـرـارـاً في قـلـبـ العاصـمـة دـمـشـقـ، وـمـنـهـ حـيـ الـبـرـزـةـ. من الواضح أنـ النـظـمـ الرـاسـخـةـ لا تـتـصـرـفـ بـهـذـا الـقـدـرـ منـ الـوـحـشـيـةـ، ولا تـتـحـاجـ إـلـيـهاـ، ولـكـ منـ يـتـورـطـ فـيـ هـذـا الـمـنـحدـرـ إـنـمـاـ هوـ الـخـافـفـ حـتـىـ الـعـداـوةـ، وـالـيـائـسـ حـتـىـ قـطـعـ كـلـ الـخـيوـطـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ فـئـاتـ وـاسـعـةـ منـ شـعـبـهـ.

بالـطـبعـ لاـ يـمـكـنـ لـلـعـلـاقـةـ أـنـ تـنـكـشـفـ سـافـرـةـ إـلـىـ عـلـاقـةـ مـحـتـلـ؛ لأنـهـ فـيـ الـأـسـاسـ لمـ تـبـنـ عـلـىـ ذـلـكـ، هـذـاـ سـبـبـ، وـالـسـبـبـ الثـانـيـ، أـوـضـحـ، وـهـوـ أـنـ الطـغـمـةـ الـحاـكـمـةـ لـيـسـ لـهـ شـعـبـ آخـرـ غـيرـ هـذـاـ الشـعـبـ، كـمـاـ هـوـ حـالـ (إـسـرـائـيلـ) فـيـ فـلـسـطـيـنـ، مـثـلـاـ. أـمـاـ الـعـلـويـونـ الـذـيـنـ يـمـثـلـونـ قـرـابـةـ 8%ـ حـسـبـ بـعـضـ التـقـيـدـاتــ. فـهـمـ لـاـ يـقـوـونـ عـلـىـ التـصـدـيـ لـمـاـ تـبـقـيـ مـنـ الشـعـبـ فـيـ سـوـرـيـةـ، فـضـلـاـ عـنـ كـوـنـهـمـ، لـيـسـواـ مـحـسـوبـينـ مـعـ النـظـامـ؛ فـقـدـ أـصـدـرـتـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـمـتـقـفـيـنـ الـعـلـويـيـنـ بـيـانـاـ جـرـيـاـ فـضـحـوـاـ فـيـ مـحاـولـاتـ الـنـظـامـ السـوـرـيـ رـبـطـ الطـائـفةـ الـعـلـويـةـ بـهـ وـبـنـظـامـهـ..

وـدـعـواـ الـمـوـاـطـنـيـنـ السـوـرـيـيـنـ الـعـلـويـيـنـ وـأـبـنـاءـ الـأـقـلـيـاتـ الـدـيـنـيـةـ وـالـقـومـيـةـ الـمـتـخـوـفـيـنـ مـمـاـ سـيـلـيـ اـنـهـيـارـ النـظـامـ إـلـىـ الـمـشارـكـةـ فـيـ إـسـقـاطـ النـظـامـ الـقـمـعـيـ، وـالـمـسـاـهـمـةـ فـيـ بـنـاءـ الـجـمـهـورـيـةـ السـوـرـيـةـ الـجـدـيـدـةـ، دـوـلـةـ الـقـانـونـ وـالـمـوـاـطـنـةـ.

كـمـاـ أـكـدـواـ عـلـىـ وـحدـةـ الشـعـبـ السـوـرـيـ بـكـلـ أـطـيـافـهـ الـدـيـنـيـةـ وـالـقـومـيـةـ، وـالـعـمـلـ عـلـىـ بـنـاءـ دـوـلـةـ حـرـةـ دـيمـقـراـطـيـةـ تـحـفـظـ حـقـوقـ مواـطـنـيـهـاـ بـالـتـساـوـيـ، وـهـذـاـ لـاـ يـتـمـ إـلـاـ بـإـسـقـاطـ النـظـامـ الـاـسـتـبـداـريـ الـحـالـيـ.

وـلـاـ يـقـتـصـرـ الـأـمـرـ عـلـىـ الـمـتـقـفـيـنـ الـعـلـويـيـنـ؛ فـبـحـسـبـ عـضـوـ الـمـجـلـسـ الـو~طنـيـ السـو~ر~ي~، خـالـدـ كـمـالـ، أـنـ عـدـدـ كـبـيرـاـ مـنـ الـعـلـويـيـنـ أـكـدـواـ لـهـمـ أـنـهـمـ ظـلـمـواـ مـاـ ظـلـمـ الـآخـرـونـ.

وـفـوـقـ ذـلـكـ فـإـنـ زـعـمـاءـ هـذـهـ الطـائـفةـ وـمـشـاـيخـهـاـ يـسـتـبـعـدـ أـنـ يـتـصـفـواـ بـضـيقـ الـأـفـقـ، أـوـ قـصـرـ النـظـرـ؛ فـيـنـسـاقـوـاـ وـرـاءـ الـأـسـدـ وـعـصـابـاتـ، وـيـقطـعـوـاـ كـلـ الـوـشـائـجـ الـتـيـ تـرـبـطـهـمـ بـأـبـنـاءـ وـطـنـهـمـ، وـأـبـنـاءـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ الـآخـرـينـ.

وـالـمـرـجـحـ أـنـ يـنـهـجـواـ نـهـجـ الزـعـيمـ الدـرـزـيـ وـلـيـدـ جـنـبـلـاطـ الـذـيـ – عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ تـقـلـبـاتـهـ الـكـثـيـرـ وـمـرـاوـغـاتـهـ مـنـ عـدـوـ إـلـىـ صـدـيقـ – يـظـلـ يـلـحـ، فـيـ خـطـابـهـ إـلـىـ طـائـفـهـ، عـلـىـ أـهـمـيـةـ اـنـدـمـاجـ الدـرـوزـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـأـنـ لـاـ يـتـقـوـقـعـوـاـ عـلـىـ أـنـفـهـمـ، حتـىـ فـيـ الـأـوـقـاتـ الـعـادـيـةـ، وـحتـىـ لوـ كـانـ هـذـاـ التـقـوـقـ لـاـ يـعـنـيـ الدـخـولـ فـيـ صـرـاعـاتـ مـعـ الـأـغـلـبـيـةـ.

بـالـطـبعـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ الـذـيـ يـؤـثـرـ الـانـهـيـازـ إـلـىـ الشـعـبـ، وـالـوـطـنـ، وـبـذـلـكـ يـمـكـنـ الـحـفـاظـ عـلـىـ حـيـاةـ طـبـيـعـيـةـ، فـيـ حالـ تـحـقـقـ التـغـيـيرـ الـمـنـشـودـ مـنـ الـقـوـىـ السـو~ر~ي~، وـهـوـ دـو~ل~ة~ لـكـلـ موا~ط~ن~ها~.. هـذـاـ الـمـنـطـقـةـ لـيـسـ قـانـونـاـ ثـاـيـتاـ، وـلـاـ سـيـماـ، إـذـاـ أحـاطـتـ بـالـعـلـويـيـنـ، وـبـغـيـرـهـمـ مـنـ الطـوـائـفـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ ظـرـوفـ الـاحـتـقـانـ الـطـائـفيـ، وـمـنـ الشـرـقـ الـعـرـاقـ الـذـيـ تـنـذـرـ أـزـمـتـهـ السـيـاسـيـةـ بـيـنـ رـئـيـسـ الـوـزـراءـ، نـورـ الـمـالـكـيـ، وـنـائـبـهـ، طـارـقـ الـهـاشـمـيـ بـأـجـوـاءـ خـطـرـةـ بـيـنـ الشـيـعـةـ وـالـسـنـنـةـ.

فـالـخـطـوـرـةـ فـيـ أـنـ يـجـرـ النـاسـ عـلـىـ خـيـارـاتـ لـاـ يـرـيدـونـهـاـ، كـمـنـ حـسـرـ فـيـ وـسـطـ زـحـامـ مـنـ النـاسـ؛ فـتـرـاهـ يـنـدـعـ بـغـيرـ حـرـكـتـهـ الذـاتـيـةـ.. فـالـخـوـفـ إـنـمـاـ هوـ مـنـ الصـرـاعـاتـ السـيـاسـيـةـ الـفـوـقـيـةـ أـكـثـرـ مـاـ هوـ مـنـ التـنـاقـضـاتـ، أـوـ الفـرـقـ الـمـذـهـبـيـةـ الـطـائـفـيـةـ؛ لأنـ غالـبـيـةـ النـاسـ يـنـهـمـكـونـ فـيـ أـمـورـ حـيـاتـهـمـ الـلـوـمـيـةـ وـشـؤـونـ مـعـاـشـهـمـ، وـقـدـ عـاـشـوـاـ مـعـاـ قـرـونـاـ، دونـ أـنـ يـتـخـلـلـهـاـ الصـرـاعـ الـطـائـفـيـ إـلـاـ قـلـيلـاـ، ذـلـكـ أـنـ الـقـوـاعـدـ الـدـنـيـاـ لـاـ تـزـالـ لـاـ تـرـىـ ضـرـورـةـ لـمـتـلـ هـذـهـ الصـرـاعـاتـ، وـمـاـ يـتـرـتـبـ عـلـيـهـ مـنـ قـتـلـ وـتـهـجـيرـ وـتـضـحـيـةـ بـالـمـصالـحـ وـالـاسـتـقـرارـ.. فـإـنـاـ ضـمـنـتـ لـلـعـلـويـيـنـ وـغـيـرـهـمـ حـقـوقـ الـمـوـاـطـنـةـ فـلـنـ يـخـتـارـوـاـ الـاحـتـرـابـ الـمـفـضـيـ إـلـىـ الـإـقـصـاءـ وـالـتـهـمـيـشـ. أوـ إـلـىـ مـصـيرـ مجـهـولـ.

فـالـخـاسـرـ الـأـكـبـرـ فـيـ هـذـاـ الرـهـانـ هـوـ الـنـظـامـ الـذـيـ لـمـ يـكـنـ يـسـتـنـدـ إـلـىـ كـثـيرـ مـنـ الشـرـعـيـةـ الـدـاخـلـيـةـ، أـصـلـاـ، وـلـمـاـ اـنـدـلـعـتـ الـتـوـرـةـ انـكـشـفـ عـنـ مـحـتـلـ، فـيـ ثـيـابـ نـظـامـ وـطـنـيـ مـمـانـ!

